البريد

— ٢ —

فى جَنوبِ مدينة المِنْيا توجَدُ آثارُ مَدينةٍ قديمةٍ تسمَّى العَمارنَةَ ، بَناها إخْناتون فِرْعَوْنُ مِصْرَ ، مُنْذُ ٣٣٠٠ سَنَةٍ ، وجَعَلَها عاصمةَ إمْبَراطُوريَّتِهِ . ومُنْذُ نَحْوِ ٣٠ سنةً ، كانَ بعضُ الفَلَّاحينَ يَبْحَثونَ فى الأرْضِ هُناكَ ، فعَثَرُوا عَلَى ألواحٍ كثيرةٍ مِنَ الطِّينِ عليها نُقوشٌ . فلمَّا فُحِصَتْ هذه النُّقوشُ ظَهَرَ أنَّها خِطاباتٌ مُرْسَلَةٌ إلى إخْناتونَ مِنَ المُلوكِ الَّذينَ كانوا يَحْكُمونَ بلادَ الشَّامِ وآشورَ وبابِلَ وغَيْرِها من أقطارِ آسيا الغربيَّةِ . وهذه أقْدَمُ مجموعةٍ مَعروفةٍ منَ الرَّسائلِ بينَ المُلوكِ .

والمعروفُ أنَّ الفَراعِنَةَ لم يَسْتَخْدِموا قَطُّ فى نَقْلِ البَريدِ غَيْرَ سُعاةٍ يَسيرونَ عَلَى الأقْدامِ . وكانَ هؤلاءِ السُّعاةُ يَتَّبِعونَ ضَفَّتَيِ النِّيلِ فى رَواحِهِمْ وغُدُوِّهِمْ ، ويَسْلُكونَ إلى الخارجِ الطُّرُقَ التى تَسْلُكُها القوافلُ والجيوشُ .

مركبات البريد في العصر الروماني

وقَدْ أخَذَ الآشوريُّونَ نِظامَ البَريدِ عن مِصْرَ ، وتَبِعَهُمْ فى ذلك الفُرْسُ عِندَما أنْشَأوا إمْبراطوريَّتَهُمُ العظيمةَ قبلَ مِيلادِ المَسيحِ بِخَمْسِمائةِ سَنَةٍ . وقد أدْخَلوا عليه تَحْسيناتٍ كثيرةً ، فأنْشَأوا خُطوطاً مُنَظَّمَةً للبَريدِ تَمْتَدُّ من عاصمةِ مُلْكِهِمْ إلى جميعِ أنحاءِ الأقاليمِ . واسْتَخْدَموا الجِيادَ لِنَقْلِهِ بَدَلَ السُّعاةِ الرَّجَّالةِ . وقَسَّموا المسافاتِ إلى مَحَطَّاتٍ ، وُضِعَتْ فيها الجِيادُ ، كَيْ يَسْتَبْدِلَ السَّاعى جَوادَهُ فى كُلِّ مَحَطَّةٍ ، أو يُسَلِّمَ الرَّسائلَ إلى غَيْرِهِ لِيَقومَ بها إلى المحطَّةِ التَّاليةِ ، كما يَفْعَلُ المُتَسابِقونَ فى سِباقِ التَّتابُعِ .

وانْتَشَرَتْ هذه الطَّريقةُ لنَقْلِ البَريدِ فى جميعِ البلادِ المتَمَدِّنَةِ . فاسْتَعْمَلَها الرُّومانُ فى إمْبَراطوريَّتِهِمْ ، وكذلك العربُ فى البلادِ التى فَتَحوها ، ومن ضِمْنِها مِصْرُ . وكانوا يَسْتَخْدِمونَ الإبِلَ بَدَلَ الجِيادِ .

وقَدْ بَلَغَ نِظامُ البريدِ فى مِصْرَ دَرَجَةً كبيرةً منَ الدِّقَّةِ والسُّرْعةِ فى أيَّامِ حُكْمِ البطالسةِ . فقد عُثِرَ على كُرَّاسَةٍ لرئيسِ مَكْتَبِ البريدِ فى الفَيُّومِ فى ذلك الوقتِ ، فوُجِدَ مُبَيَّناً فيها عَدَدُ الرَّسائلِ والمِلَفَّاتِ التى تُبُودِلَتْ . وأمامَ كُلِّ رِسالَةٍ اسْمُ السَّاعى

الذى حَمَلَها، وساعةُ خروجه، وساعةُ وصوله، والطريقُ الذى سَلَكَهُ. ومما يَدُلُّ على سُرْعةِ البريدِ حينئذٍ أنَّ خِطاباً أُرْسِلَ بالبريدِ المُسْتَعْجَلِ من الفيومِ إلى الإسْكَنْدَرِية، قَبلَغَها بعدَ أربعةِ أيامٍ.

ولمَّا حَكَمَ المماليكُ مصرَ منذُ ٧٠٠ سَنَةٍ تقريباً جعلوا لساعى البَريدِ شارةً خاصَّةً، يُعَلِّقُها فى عُنُقِهِ، وهى لَوْحٌ من الفِضَّةِ أو النُّحاسِ الاحمرِ، فى حجمِ الكَفِّ، مَنْقوشٌ على أحَدِ وجْهَيْهِ: «لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، أرْسَلَهُ بالهُدى ودينِ الحَقِّ ليُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ ولَوْ كَرِهَ المشركونَ. ضُرِبَ فى مِصْرَ المَحْروسَةِ.» وعلى وَجْهِهِ الآخَرِ: «عِزٌّ لِمَوْلانا السُّلْطانِ المَلِكِ ... الدُّنيا والدِّينِ ... سُلْطانِ الإسْلامِ والمُسْلِمين ... بنِ مَوْلانا السُّلْطانِ الرَّشيدِ ... الملكِ، خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ». ولَعَلَّ هذه الشَّارَةَ أوَّلُ مُحاولةٍ لتَمْيِيزِ رِجالِ البَريدِ من غَيْرِهِمْ.

وفى ذلكَ العَهْدِ أُنْشِئَ فى مِصْرَ بَريدُ الحَمامِ الزَّاجِلِ وقد اسْتَمَرَّ هٰذا البَريدُ عِدَّةَ قُرونٍ. وكانَ الحَمامُ يَقْطَعُ المسافةَ بينَ المَحَطَّتَيْنِ المُتَتالِيَتَيْنِ فى ثُلُثِ الوقتِ الذى يَقْطَعُها فيه الجَوادُ (وكانتِ المسافةُ بينَ المحطَّتَيْنِ سبعةَ أميالٍ تقريباً).

واهْتَمَّ المغفورُ لهُ مُحَمَّدُ عَلِيّ باشا بنَقْلِ رَسائلِ الحكومةِ.

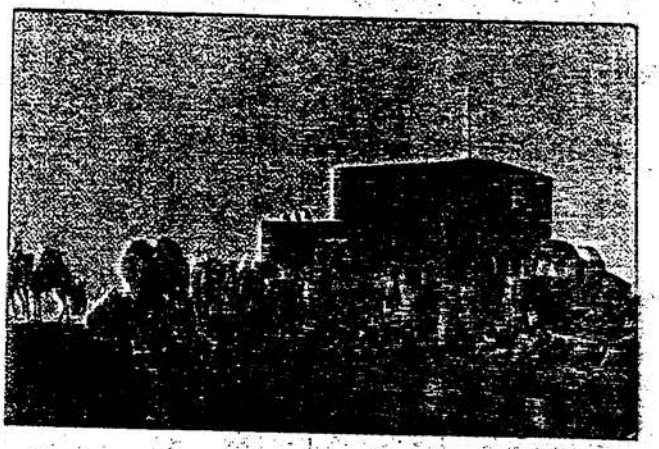

أحدى عطلات الاستراحة واستبدال الجياد فى الطريق البرى بين القاهرة والسويس

فنَظَّمَ مَحَطَّاتِ البريدِ بينَ العاصمةِ وأهَمِّ مَراكِزِ القُطْرِ. فكانَ السُّعاةُ الرَّجَّالَةُ يَتَناوَبونَ على نَقْلِ الرَّسائلِ من محطَّةٍ إلى أُخْرَى. وكانَ البَريدُ يُنْقَلُ يَوْمِيًّا بينَ القاهرةِ ومراكِزِ الوَجْهِ البَحَرِيِّ وبالعكس. وكانتِ الرِّسالَةُ بينَ الإسْكَنْدَرِيَّةِ والقاهرةِ تَصِلُ فى ٢٤ ساعةً. أمَّا فى مصرَ الوُسْطَى فكانَ البريدُ يُرْسَلُ مَرَّةً كُلَّ أسبوعٍ. وفى مِصْرَ العُلْيا مَرَّةً كُلَّ شهرٍ. ثُمَّ امْتَدَّتْ أعْمالُ البريدِ إلى السُّودانِ بَعْدَ فَتْحِهِ سنةَ ١٨٢١ م. وعِنْدَئِذٍ اسْتُعْمِلَ السُّعاةُ الهِجانَ. فكانَ وُصولُ الرِّسالَةِ من القاهرةِ إلى الخرطومِ يَسْتَغْرِقُ خمسينَ يوماً.

انتقال المسافرين والبريد الى البواخر فى السويس بعد اجتياز الصحراء

ولَمْ يَكُنْ لِلْجُمْهورِ فى ذلك العَهْدِ حَقُّ الانتفاعِ بهذا البَريدِ ، بلْ كانَ على الأفرادِ أن يَبْعَثوا برَسائِلِهِمْ رُسُلاً على نَفَقَتِهِمْ الخاصَّةِ . وكانوا يَلْجَأُونَ عادةً إلى رَجُلٍ اسْمُهُ حَسَنٌ البديهِىُّ ، كان مَوْكولاً إليه أمْرُ السُّعاةِ . فكانوا يُقابِلونَهُ فى مَقْهًى بالموسكى ، اتَّخَذَهُ مَحَلاً له ، فيَتَّفِقونَ معه على أجْرِ نَقْلِ الرِّسالَةِ على أساسِ المَسافَةِ . وكانتْ تَصِلُ الرَّسائلُ إلى أرْبابِها بأمانٍ .

وبعدَ ذلك أخَذَتِ الحكومةُ على عاتِقِها نَقْلَ خِطاباتِ الجُمْهورِ المرْسَلَةِ إلى جميعِ أنْحاءِ القُطْرِ وإلى السُّودانِ . ووَضَعَتْ لذلك رُسوماً تَتَفاوَتُ بَيْنَ رُبْعِ القِرْشِ وستَّةِ قُروشٍ .

أمَّا الرَّسائلُ المُصَدَّرَةُ إلى خارجِ القُطْرِ ، فكانَتْ تُسَلَّمُ إلى رَبابِنَةِ السُّفُنِ ، أوْ تُرْسَلُ بوَساطَةِ قَناصِلِ الدُّوَلِ .

ثُمَّ تَدَرَّجَ نِظامُ البَريدِ فى الرُّقِىِّ ، واهْتَمَّ بِهِ المَغْفورُ لهُ اسْماعِيلُ باشا أكْبَرَ اهْتِمامٍ . واسْتَمَرَّ يَرْتَقِى حتَّى وَصَلَ إلى الحَدِّ الذى نَعْرِفُهُ الآنَ .

ولكنْ يَتَيَسَّرَ تَبادُلُ الرسائلِ الخارجيَّةِ بَيْنَ دَوْلَةٍ وأُخْرَى بِنِظامٍ وضَمانٍ ، افْتَرَحَتِ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ بأمِرِكا عَقْدَ مُؤْتَمَرٍ لِتَوْحِيدِ نُظُمِ البَريدِ وأُجورِهِ . وانْعَقَدَ المُؤْتَمَرُ بِبارِيس عامَ ١٨٦٣ م . وحَضَرَهُ مَنْدُوبُو الدُّوَلِ لِهٰذا الغَرَضِ . ولكِنَّ اجتماعَهُمْ لم يُسْفِرْ عن شىءٍ . ثمَّ عقدَ مُؤْتَمَرٌ آخَرُ للغَرَضِ نَفْسِهِ عامَ ١٨٧٤ م بمَدِينَةِ برْن بِسويسْرا ، وكانَتْ مِصْرُ مُمَثَّلَةً فيه . فكانَ هذا المُؤْتَمَرُ نَواةً لِمؤْتَمَراتِ البَريدِ الدَّوْلِيَةِ التى تَنْعَقِدُ بَيْنَ آنٍ وآخَرَ فى بَلَدٍ من بلادِ أعْضاءِ الاتِّحادِ الدَّولِىِّ لِلْبريدِ . وكُلُّنا يَعْرِفُ أنَّ هٰذا المؤْتَمَرَ كانَ مُنْعَقِداً بالقاهرةِ فى الشهرِ الماضى وأنَّ أعْضاءَهُ وقَّعوا المُعاهَدَةَ يومَ ٢٠ مارس بِقَصْرِ الزَّعْفَرانِ بالعَبَّاسِيَّةِ .

الحمامة الزاجلة

مطبعـــــة مصر

شركة مساهمة مصرية – من مؤسسات بنك مصر

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

استعدادات مطبعة مصر للطباعة بأنواعها قلّ أن تتوافر فى مطبعة واحدة